

تفسير البحر المحيط

@ 229 هو الجار والمجرور ، فيكون في موضع رفع ، وكان الأصل : وإذا أظلم الليل عليهم ، ثم حذف ، فقام الجار والمجرور مقامه ، نحو : غضب زيد علي عمرو ، ثم تحذف زيـداً وتبني الفعل للمفعول فتقول : غضب علي عمرو ، فليس يكون التقدير إذ ذاك : وإذا أظلم الليل ، فحذفت الجلالة وأقيم ضمير الليل مقام الفاعل . وأما ما وقع في كلام حبيب فلا يستشهد به ، وقد نقد علي أبي علي الفارسي الاستشهاد بقول حبيب : % (من كان مرعى عزمه وهمومه % . روض الأمانى لم يزل مهزولاً . %) .

وكيف يستشهد بكلام من هو مولد ، وقد صنف الناس فيما وقع له من الـحن في شعره ؟ ومعنى قاموا : ثبتوا ووقفوا ، وصدرت الجملة الأولى بكلمة ، والثانية بإذا . قال الزمخشري : لأنهم حراس على وجود ما هممهم به معقودة من إمكان المشي وتأتيه ، فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ، وليس كذلك التوقف والتحبس ، انتهى كلامه . ولا فرق في هذه الآية عندي بين كلما وإذا من جهة المعنى ، لأنه متى فهم التكرار من : { كُـلِّـمَـا أـضَاءَ لَـهُـمُ مَـشْـوَا } فـيـهـ { لزم منه أيضاً التكرار في أنه إذا أظلم عليهم قاموا ، لأن الأمر دائر بين إضاءة البرق والإظلام ، فمتى وجد هذا فقد هذا ، فيلزم من تكرار وجود هذا تكرار عدم هذا ، على أن من النحويين من ذهب إلى أن إذاً تدل على التكرار ككلمة ، وأنشد : % (إذا وجدت أوار الحب في كبدي % . أقبلت نحو سقاء القوم أبترد . %) .

قال : فهذا معناه معنى كلما . . وفي تأويل هذه الآية أقوال . قال ابن عباس والسدي : كلما أتاهم القرآن بما يحبونه تابعوه . وقال قتادة : إضاءة البرق حصول ما يرجونه من سلامة نفوسهم وأموالهم ، فيسرعون إلى متابعتة . وقال مقاتل : البرق الإسلام ، ومشيهـم فيه إهـتـداؤهم ، فإذا تركوا ذلك وقعوا في ضلالهم . وقيل : إضاءةهـم لهم : تركهم بلا ابتلاء ، ومشيهـم فيه : إقامتهم على المسالمة بإظهار ما يظهرونه ، وقيل : كلما سمع المنافقون القرآن وحججه أنسوا ومشوا معه ، فإذا نزل ما يعمون فيه أو يكلفونه قاموا ، أي ثبتوا على نفاقهم . وقيل : كلما تـوالـت عليهم النعم قالوا : دين حق ، وإذا نزلت بهم مصيبة سخطوا وثبتوا على نفاقهم . وقيل : كلما خفي نفاقهم مشوا ، فإذا افتضحوا قاموا ، وقيل : كلما أضاء لهم الحق اتبعوه ، فإذا أظلم

عليهم بالهوى تركوه .